الأهرام
١٣ / ١٢ / ١٩٩٣

لماذا لم يظهر فيلم «أم كلثوم» حتى الآن؟

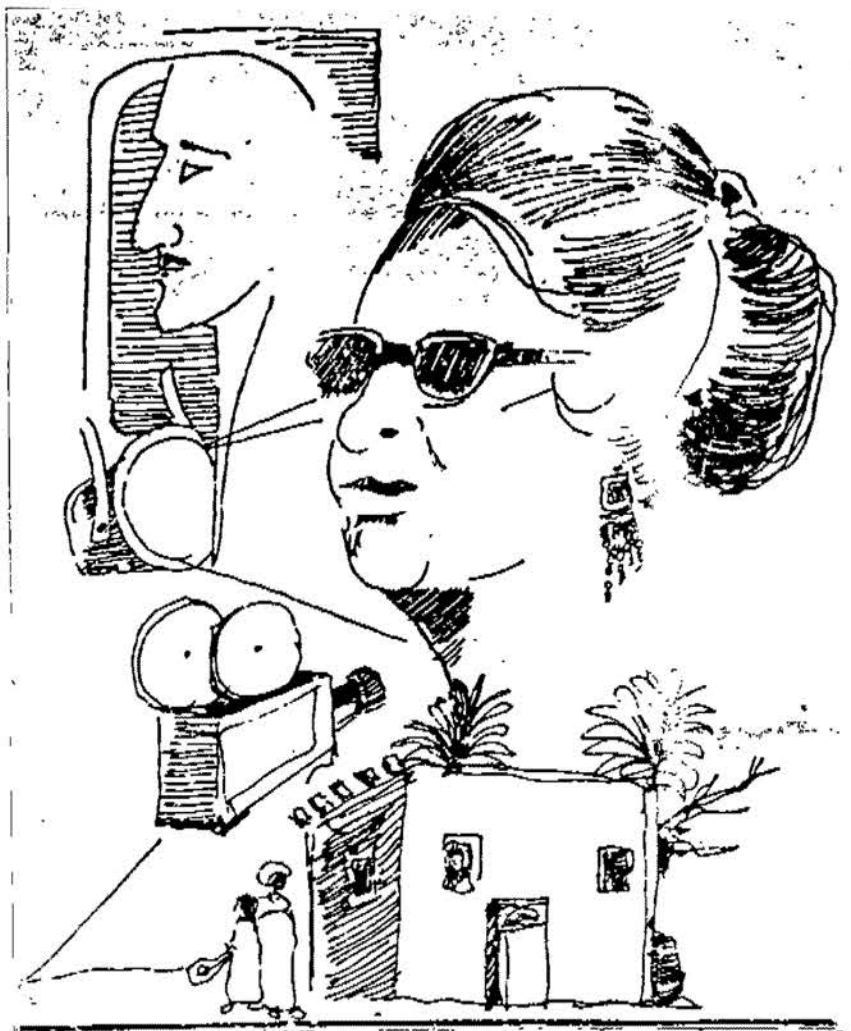

في مثل هذا الوقت من كل عام ومنذ وفاة السيدة الغناء العربي كوكب الشرق ام كلثوم لابد ان اسمع هذا السؤال في حديث تليفزيوني او اذاعي او صحفي: اين فيلم «ام كلثوم» كما كنت اسميه «دوما» كما كان يصر يوسف شاهين على تسميته ؟. والجواب دائما واحد لايتغير - لم يوجد بعد المنتج المستعد لانتاج فيلم يتكلف عدة ملايين جنيه، ويكون الرد ولكن ايراداته ممكن ان تغطي مصروفاته، ولكن المصروفات تقتضي وجود المبلغ اولا. اذن كيف يداتم مغامرة الفيلم وقطعتم فيه شوطا طويلا - كما قيل - قبل ان تجدوا المنتج المستعد لرصد المبلغ الكافي للانتاج . ومن هنا تبدأ القصة . قصة ذلك الفيلم الذي ينتظره الناس في كل البلاد العربية. ولا أعرف لماذا تظلم السينما عظماء مصر في كل المجالات ولاتنتج الا في تخليد اسماء الراقصات ؟!. هناك خلل وخلل معروف السبب والدوافع . لقد كان القطاع العام هو الذي انتج فيلم (سيد درويش) وكان لي شرف الاشراف على انتاجه حيث كنت اراس الشركة العامة للانتاج السينمائي وكنت الذي اخترته كاول فيلم افتتح به مرحلة قيامي بالاشراف على هذه الشركة وكان لي شرف كتابة وانتاج مسلسل " النهر الخالد " للفنان الكبير محمد عبد الوهاب تليفزيونيا، اما فيلم «ام كلثوم» فقد ذهب ونحن حيارى نقبع الأوراق امامنا ونتحسر في حين حظيت (منيرة المهدية بفيلم متوسط القيمة الفنية وكذلك الحظ) وإن كان الجانب الروائي او الدرامي قد غلب على الحياة الفنية لبطلة الفيلم وجعله فيلما مجبريا عاديا مثلما دابت السينما على تقديمه فقط يحوي اسماء حقيقية وبعض الاحداث الواقعية .

كان ذلك في ربيع عام ١٩٦٨ عندما زرني المخرج الكبير يوسف شاهين في مكتبي بالشركة القومية للتوزيع وعرض علي فكرة فيلم عن " ام كلثوم " اكتب له السيناريو ولم نتحدث عن المنتج لانه يتصور وانا معه اننا لن نعدم منتجا يقبل بكل جوارحه وامواله على انتاج فيلم عن (ام كلثوم) وكانت الفكرة براقة وبعد مناقشة قصيرة اتفقنا على ان نتصل بالمهندس محمد حسوفي زميلنا في مؤسسة السينما ليحصل لنا على موعد مع ام كلثوم . وحدث وجلسنا امام الفنانة الكبيرة نعرض عليها فكرة الفيلم في خطوط عريضة لا تقيدنا باي فكرة ممكن ان ننطق بها قبل ان نقتلها بحثا . كانت ام كلثوم . رغم ترحيبها الشديد بالفيلم . لاتخفي قلقها الشديد ايضا . كيف يصور؟ كيف يتحول إلى صورة؟ وهي ماذا ستمثل؟ هل ستمثل حياتها كما هي في الواقع؟ ام ماذا؟..

عشرات الاسئلة واجهتنا بها ولكن المهم انه في نهاية الجلسة كان قد تم الاتفاق على ان احضر لها في المرة القادمة وحدي حتى تبدأ في حكاية قصة حياتها من وجهة نظرها هي وليس من وجهة نظر ما كتب عنها في المجلات او في بعض الكتب التي ظهرت قديما او حديثا . خرجنا سعداء باللقاء وكان يوسف شاهين اكثرنا اظهارا لسعادته .

ومي مكتبي جلست اضع فكرة فيلم عن " ام كلثوم " على الورق .. بدات دراستي كمشروع ووضعت نفسي في موقف محايد تماما وكتبت المشاكل التي سوف يصادفها فيلم عن ام كلثوم والصعوبات التي يجب ان يجتازها والتسهيلات التي يمكن ان يحصل عليها ثم ما يجب ان يتحاشاه فيلم عن ام كلثوم ثم المزالقات التي من الممكن ان ينزلق اليها ثم قيامها : "تمثيل وكيف" وخرجت بدراسة استغرقت أكثر من خمسين صفحة احتفظت بها ثم وضعتها كمقدمة للقصة السينمائية التي كتبتها للفيلم في مرحلة لاحقة .

كان الموعد في الرابعة بعد الظهر وهو موعد اعتدت ان اكون نائما فيه وتحاملت على نفسي وحملت جهاز تسجيل في حجم حقيبة الاوراق وهو اصغر جهاز رايته في تلك الايام وقلت لنفسي سوف اتركها تتحدث في التسجيل ثم اعود فافرغ ما ترويه ومشيت وكان بين بيتي وبيتها بضعة امتار فنحن جيران وهي تسكن في شارع ابو الفدا رقم ٥ وانا في رقم ١٥ وكنت اصافح الفيلا اربع مرات على الاقل كل يوم وكنت اصف بيتي لاي صديق او زائر بعد (فيلا ام كلثوم) بدءا بيت .

سالتني عما اشرب فطلبت قهوة ووضعت جهاز التسجيل امامي على مائدة صغيرة في ركن الصالون الذي جلسنا فيه وسالتني عما وضعت على المائدة واجبت جهاز تسجيل حتى لا تفوتني كلمة مما تقولين وتصورت ان هذه المجاملة سوف تقنعها بالموافقة على التسجيل ولكنها وبسرعة سالتني بلهجة رفض حادة .

-عاوزني أكلم الحديدة دي؟!

ولم ارد بل حملت الجهاز ووضعته على الارض بجوار مقعدي ومددت يدي لاخرج من جيبي بعض الاوراق البيضاء وقلما من جيبي الاخر وكنت قد اعددتها بطريقة احتياطية إذا فشلت في ادارة الجهاز رغم انني تلقيت دروسا مكثفة من زوجتي في طريقة تشغيله وعادت تشير إلى الاوراق في رفض جديد .

-ومش حتكتب كمان

ووضعت الورق والقلم ونظرت إليها متسائلا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية